الفصل التاسع والعشرون بعد المئة

الطب والبيطرة

والطب من العلوم المطلوبة في كل زمان ومكان ، لما له من صلة بحياة الانسان. ولعلماء اللغة آراء في معنى (الطب) وقد ذكروا أن من المجاز : الطب بمعنى السحر ، قال ابن الأسلت :

ألا من مبلغ حسان عني أطب كان داؤك أم جنون[1]

فوجدوا أن بين الطب والسحر صلة . وهو تعبير عن مداواة الأمراض في السابق بالسحر ، فقد كان الساحر طبيباً ، يداوي المرض ويشفي المريض بسحره، وكذلك كان الكهان يداوون المرضى ، ولا زال الناس يعتقدون بأثر السحر في مداواة المرض ، فيراجعون من يدعي العلم بالسحر لنيل الشفاء[2] .

وكان الطب ، في ذلك الزمان ، شرف ، فللطبيب مكانة كبيرة عند الجاهليين. قال (المرتضى) في حديثه عن زهير بن جناب : « كان سيد قومه ، وشريفهم، وخطيبهم ، وشاعرهم ، ووافدهم الى الملوك ، وطبيبهم . والطب في ذلك الزمان

---

١ وورد : « أسحر كان طبك » ، تاج العروس (١/٣٥١) ، (طب) .

٢ ارشاد الساري (٨/٣٦٠) .

شرف ، وحازي قومه ، والحُزاة الكهان »[1] . فهو قد جمع خلالاً كثيرة وفي جملتها الطب والكهانة . وقد كان الكهان يداوون المرضى ، فكان كهنة مصر يعالجون المرضى ويطببونهم ، لاعتقادهم ان الأمراض هي من الآلهة ، تصيب الانسان فلا تشفيه منها إلا التوسلات اليها باشفائه ، وحيث ان المقربين اليها هم الكهنة ، لذلك لجأ المرضى اليهم لاشفائهم . ونجد في النصوص العربية الجنوبية توسلات كثيرة وتضرعات الى الآلهة ، لأن تمنّ على المتوسلين اليها بالصحة والعافية ، وبالشفاء من الأمراض التي نزلت بهم ، وأن تحميهم من الأوبئة التي تفشت بين الناس ، فأخذت تميتهم .

ولا بد وأن يكون السحرة والحزاة والكهنة في الجاهلية ، هم الذين مارسوا الطب ، وعالجوا المرضى ، بالسحر وبالأدعية ، أو بالأدوية التي أخذوها عمن سبقهم ومن تجاربهم الخاصة . ونحن نأسف لأن نقول إن النصوص الجاهلية لم تعطنا حتى الآن نصوصاً طبية ، أو نصوصاً فيها وصفات أدوية الشفاء من الأمراض .

والطب ، هو من فروع العلم المحظوظة بالنسبة الى فروع العلم الأخرى عند الجاهليين . فقد أشير اليه ، وأشير الى اسم نفر من الأطباء ، هم : الحارث بن كَلَدة الثقفي ، والنَّضْر بن الحارث ، و (ابن أبي رمثة التميمي) و (ضماد) وكلهم ممن عاصر الرسول وأدرك زمانه ، وبفضل هذه المعاصرة ، ذكرت أسماؤهم في كتب الحديث والسير والأخبار ، ولولاها لكان شأنهم شأن غيرهم ممن لم يصل اسمهم الي أحد ، فصاروا نسياً منسياً .

وذكر ان رجلاء جاء الى النبي ، فرأى بين كتفيه خاتم النبوة . فقال : إن أذنت لي عالجتها فإني طبيب . فقال له النبي ، طبيبها الذي خلقها ، معناه العالم بها خالقها الذي خلقها لا أنت[2] .

أما الحارث بن كلدة الثقفي ، فإنه من ثقيف ومن أهل الطائف . ذكر أنه سافر إلى البلاد، وتعلم الطب بناحية فارس على رجل من أهل جُنْدَيْسابور، وغيرها.

---

١ أمالي (١/٢٣٨) .

٢ اللسان (١/٥٥٣) ، (طبب) ، تاج العروس (١/٣٥٢) ، (طبب) ، « فان يك بك طب داويتك ، فاني أطب العرب » ، الطبري (٢/٢٩٧) .

وتمرن هناك ، وطب بأرض فارس ، وعالج وحصل له بذلك مـال ، وعرف الداء والدواء . وكان صاحب حسّ مرهف ، وموسيقياً يضرب بالعود . تعـلم ذلك بفارس واليمن .

قيل إن سعد بن أبـي وقّاص مرض بمكة ، فعاده رسول الله ، فقال له : أدْعُ الحارث ، فإنه يتطبب . فعاده الحارث وداواه فشفاه . ونسبوا له كلامـاً مع كسرى أنو شروان . وقيل : إنه هو القائل : « الطب : الأزم ، والبطنة بيت الدواء ، والحِميَةُ رأس الدواء ، وعوّدوا كل بدن ما اعتاد » ، وأشياء أخرى تنسب الى فلاسفة متقدمين ، ولحكماء من العرب غير الحارث[1] .

وقيل إن من حكمه : « خير الدواء الأزم ، وشرّ الدواء إدخال الطعام على الطعام » . وقيل إنه وصى ولده بقوله : « يا بني عوّد نفسك الأثرة ومجاهدة الشهوة ، ولا تنهش نهش السباع ، ولا تخضم خضم البراذين ، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج ، ولا تلقم لقم الجمال . إن الله جعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة ، واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة ، فقد قال بعض الحكماء : إذا كنت بطيناً فعد نفسك مع الزمنى »[2] . ومن حكمه قوله: « لا تنكحوا من النساء إلا الشابة ، ولا تأكلوا من الحيوان إلا الفتى ، ولا من الفاكهة إلا النضيج »[3] .

وقد نسبوا الى الحارث كتاباً ، هو كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى أنو شروان[4] ، ولم يشيروا الى مضمونه ومحتوياته وحجمه . والظاهر أنه هذه المحاورة التي دبجوها في ترجمته ، ونسبوها اليه ، وزعموا أن كسرى أمر بتدوين مـا نطق به[5] .

---

١ عيون الانباء لابن أبي اصيبعة (١/١٠٩ وما بعدها) ، أخبار الحكماء (ص ١١١ وما بعدها) ، ابن صاعد (ص ٤٧) ، ابن جلجل (ص ٥٤ وما بعدها) ، ابن القفطي تاريخ الحكماء (ص ١٦١ وما بعدها) ، ابن العبري (ص ١٥٦ وما بعدها) ، ابن حجر ، الاصابة (١/٢٨٨) ، بلوغ الارب (٣/٣٢٨ وما بعدها) ، شرح ديـوان لبيد (ص ١٠٢) .

٢ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٥٦) .

٣ المحاسن والاضداد (١١٠) .

٤ عيون الانباء (١/١١٠ وما بعدها) .

٥ ابن أبي أصيبعة (١/١١٢) ، بلوغ الارب (٣/٣٢٨ وما بعدها) ، العقد الفريـد (٦/٣٧٣) .

وقد ذكر أن الحارث بن كلدة كان شاعراً ذا حكمة في شعره ، وقد أورد الآحدي له أبياتاً في أثناء ترجمته له[1] . وذكره (أبو العلاء المعري) في (رسالة الغفران) ، ونسب له قوله :

فما عسل ببارد ماء مزن على ظمأ ، لشاربه يُشاب
بأشهى من لقيكم الينا فكيف لنا به ومتى الإياب[2]

وذكر الأخباريون ، ان (الحارث) هذا ، كان قد داوى الملك (أبا جبر) الكندي ، وكان ملكاً شديد البأس ، فخرج الى كسرى يستجيشه على قومه فأعطاه جيشاً من الأساورة ، فلما بلغوا (كاظمة) سمّوه ، ثم تركوه وعادوا ، فسار (أبو جبر) الى (الطائف) ، ليداويه (الحارث بن كلدة) ويشفيه ، فداواه فبرىء وارتحل يريد اليمن فنكس ومات . فرثته عمته (كبشة)[3] .

وقد عاصر رسول الله ، وفي بعض الروايات أنه أسلم ومات مسلماً في خلافة (عمر) ، وأنه أكل مع (أبي بكر) وانه شهد ان (ابا بكر) مات مسموماً[4] وأنه خرج مع النساء حينما حاصر المسلمون الطائف سنة تسع للهجرة . وأنه عاش الى أيام معاوية في رواية . وان (آل نافع) و (آل أبي بكرة) كانوا يزعمون أنهم من نسله[5] .

وأما النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي فهو ابن خالة الرسول . وكان النضر قد سافر البلاد أيضاً كأبيه ، واجتمع بالأفاضل والعلماء بمكة وغيرها ، وعاشر الأخبار والكهنة ، واشتغل وحصل من العلوم القديمة ، واطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة ، وتعلم من أبيه ما كان يعلمه من الطب وغيره وكان يؤاتي أبا سفيان في عداوة النبي ، ويحسده ، ويكثر الأذى له ، ويتكلم فيه بأشياء كثيرة ، ويحط من قدره عند أهل مكة . فلما كانت وقعة بدر ، كان على رأس

---

١ المؤتلف والمختلف (ص ١٧٢) .
٢ (١٦٦) ، (تحقيق بنت الشاطىء) .
٣ نزهة الجليس (١/٤٨٤) .
٤ الطبري (٣/٤١٩) « ذكر مرض أبي بكر ووفاته » .
٥ الاشتقاق (ص ١٨٥) ، مختصر ابن العبري (ص ١٥٦) ، أخبار الحكماء ، لابن القفطي (١٦١) ، Die Araber IV, S. 33.

المشركين ، فوقع أسيراً ، ولما كان الرسول بالصفراء أو الأثيل ، أمر بقتله ، فقتل[1] .

وقد نسب بعض أهل الأخبـــار (النضر بن الحارث) على هذه الصورة : (النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار)[2] ، وقالوا إنه من أشراف قريش وأسيادها ، وكان من مطعمي (بني عبد الدار)[3] ، ونصوا أنه « كان من كفّار قريش شديد العداوة لرسول الله »[4] ، وانه كان ابن خالـــة الرسول ، ولهذا فلا يمكن أن يكون هذا النضر ابناً للحارث بن كلـدة الثقفي ، الذي هو (الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج) على رواية من ضبط نسبه من أهل الأخبار[5] . ثم إن (الحارث بن كلدة الثقفي) ، لم يخلف إلا ابنة يقال لها أزدة ، على ما ذكره (أبو عبيدة)[6] ، لذلك فلا يمكن أن يكون (النضر بن الحارث) ابناً له ، كما ذهب الى ذلك (ابن أبـي أصبيعة) وغيره[7] ، لا سيما وان (ابن أبـي أصبيعة) نفسه قد جعله في عـــداد المشركين من قريش الذين آذوا الرسول ، وذكر انه ابن خالة النبي ، وأنه آذاه وساهم مع المشركين في معركة بدر ، فأسر . وأن أخته (قتيلة) قد رثته بشعر دوّنه، كما دوّنه غيره[8]. وما دوّنه عنه ، دوّنه غيره من ترجمة (النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبدار) القرشي ،وتجده مذكوراً مع شعر الرثاء في كتاب (نسب قريش)

---

١ عيون الانباء (١١٣/١ وما بعدها) ، البلاذري (١٤١/١) ، شمس العلوم (٧٩/١) بلوغ الارب (٣٣٥/٣ وما بعدها) ، الاشتقاق (ص ٩٩) . شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد (٣٤٨/٣) ، البيان والتبيين (٢٣٦/٢) ، (٤٣/٤) ، (عبـد السلام هارون) ، البلدان (١١٢/١) ، شرح ديوان الحماسة ، للتريزي . حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤١/٤) .

٢ نسب قريش ، للزبيري (٢٥٥) ، ابن هشام ، سيرة (٣٢٠/١) ، (النضر بـــن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف) .

٣ سيرة ابن هشام (٣٢٠/١) ، (٣٢٠/٢) .

٤ الاشتقاق (٩٩) .

٥ الاشتقاق (١٨٥) .

٦ الاشتقاق (١٨٥) .

٧ عيون الانباء (١٦٧) ، (النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي) .

٨ عيون الانباء (١٦٧ وما بعدها) ، سيرة ابن هشام (٢٩٧/٢ وما بعدها) .

للزبيري[1] . وهو من العلماء بنسب قريش ومن المتقدمين على (ابن أبي أصبيعة)[2].

وفي رواية يرجع سندهـا الى (الكلبي) و (مقاتل) ، أن في حق (النضر ابن الحارث) ، نزلت الآية « ومن الناس من يشتري لهو الحديث »[3] . فقـد قيل : « إنه كان يخرج تاجراً الى فارس،فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشاً ، ويقول لهم : إن محمداً ، عليه السلام ، يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة،فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن »[4] . وقد نزلت في حقه ثماني آيات[5]، يفهم من تفسير علماء التفسير لها ، أنه كان ذكياً لبقاً و (شيطاناً) من شياطين قريش ، له علم بالشعر وبأخبار الأمم ، يراجع أحبار اليهود وعلماء النصرانية ، ليزيد بذلك علماً على علمه، وكان يعتقد لذكائه وعلمه أنه أحق بالدعوة من النبي ، وحسده وصار يعاكسه في كل مكان .

ووصف بأنه صاحب أحـاديث ونظر في كتب الفرس . كان يحدّث ، ثم يقول : أينا أحسن حديثاً : أنا أم محمد ؟ ويقول : إنمـا يأتيكم محمد بأساطير الأولين . وقيل : إنه كان يقول إنما يعينه على ما يأتي به في كتابه هذا جبر ، غلام الأسود بن المطلب ، وعدّاس غلام شيبة بن ربيعة ، ويقـال : غلام عتبة ابن ربيعة ، وغيرهما . فأنزل الله : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر . لسانُ الذي يُلْحِدون اليه أعجميّ وهذا لسان عربي مبين »[6] . وكذلك « قال الذين كفروا إن هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون . فقـد جاؤوا ظلماً وزوراً . وقالوا : أساطير الأولين ، اكتتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً »[7]، وروي أنه كان يحدث قومه أحاديث ملوك الفرس وأحـاديث رستم واسفنديار[8] . وعلى هذا ، فلم يكن النضر ، في عداد الأطباء ، وإنما كان في عداد الواقفين

---

١ (ص ٢٥٥) .
٢ (١٥٦ ـ ٢٣٦ هـ) .
٣ سورة لقمان ، الاية ٦ .
٤ أسباب النزول (٢٥٩) ، (سورة لقمان) .
٥ سيرة ابن هشام (١/٣٢٠ وما بعدها) .
٦ النحل ، الاية ١٠٣ .
٧ الفرقان ، الاية ٤ وما بعدها ، البلاذري (١/١٤١) .
٨ ابن هشام (١/٣٢٠) .

على أساطير الفرس ولغتهم ، ولا تستبعد مع ذلك عنه مزاولة الطب ، لأن المثقفين في ذلك الوقت ، كانوا يعالجون ويدرسون مختلف العلوم والمعرفة .

وأما ابن أبي رمثة التميمي ، فكان طبيباً على عهد الرسول مُزاولاً لأعمال اليد وصناعة الجراح[1] . ولم يذكروا عنه شيئاً غير هذا المذكور . وذكر من الأطباء طبيب يقال له ابن حِذْيم ، من تيم الرباب . قيل : إنه حاز على شهرة واسعة بين الجاهليين ، وانه ذكر في شعر لأوس بن حجر ، هو :

فهل لكم فيهـــا إليّ ، فإنني طبيب بما أعيا النطاسي حِذيما[2]

وزعم انه كان أطب العرب ، وانه كان أطب من الحارث بن كلدة ، حتى ضرب بطبّه المثل ، فقيل : أطبّ من حِذْيم . وذكر أنه كان بارعاً في الكي ، فقيل : أطبّ في الكي من ابن حِذيم[3] . وقيل هو انه كان من (تيم الرباب) وكان متطبباً عالماً ، وهو أقدم من الحارث بن كلدة . وقد جعله بعضهم (ابن حذام) (ابن حمام) الشاعر المذكور في شعر (امرىء القيس) ، وهو خطأ ورد من باب التصحيف[4] .

ويظهر من كتب الحديث والأخبار والتراجم ، ان هناك نفراً آخرين مارسوا التطبيب في أيام النبي . فقد أشير الى نفر من قبيلـــة أنمار زاولوا الطب في أيام الرسول[5] . وذكر ان النبي بعث الى أبيّ بن كعب طبيباً ، فقطع له عرقاً ، وكواه عليه[6] .

وأشير الى اسم طبيب آخر ، عرف بـ (ضماد بن ثعلبة الأزدي) ، ذكر أنه كان يداوي ، وانه جاء الى رسول الله[7] . وانه كان صديقاً للنبي في الجاهلية ،

---

١ عيون الانباء لابن أبي أصيبعة (١١٦/١) ، ابن جلجل (ص ٥٧) ، ابن صاعـد (ص ٤٧) ، ابن القفطي (٤٣٦) ، تهذيب التهذيب (٩٧/١٢) ، مسند ابن حنبل (١٦٣/٤) ، اللسان (٢٣٢/٦) .
٢ تاج العروس (٣٣٨/٨) ، (حذم) .
٣ بلوغ الارب (٣٣٧/٣) .
٤ الخزانة (٢٣٢/٢) ، (بولاق) .
٥ ابن جلجل (ص ٥٤) .
٦ ابن جلجل (ص ٥٨) ، زاد المعاد (٨٤/٣) .
٧ نهاية الارب (٧/١٨ وما بعدها) ، (٣٥٠/١٧) .

وكان من أزد شنوءة . وكان رجلاً يتطبب ويرقي ويطلب العلم ، ويداوي من الريح . وقد أسلم . وكان محترماً مقدراً . ذكر أن بعثاً بعثه رسول الله أو ابو بكر ، مرّ ببلاد ضماد ، فلما جاوزوا تلك الأرض . وقف أميرهم ، فقال : أعزم على كل رجل أصاب شيئاً من أهل هذه الأرض إلا ردّه ، لمكانة هذا الرجل ولشرفه ولصداقته للرسول [1] . « وروي انه قدم مكة معتمراً ، فسمع كفار قريش يقولون: محمد مجنون ، فقال : لو أتيت هذا الرجل فداويته . فجاءه فقال له : يا محمد إني أداوي من الريح فإن شئت داويتك لعل الله ينفعك . فتشهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وحمد الله وتكلم بكلمات فأعجب ذلك ضماداً ، فقال : أعدها عليّ ، فأعادها عليه فقال : لم أسمع مثل هذا الكلام قط ، لقد سمعت الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل هذا قط »[2] .

ولا يستبعد تعلم هؤلاء الأطباء في جنديسابور مركز الطب والعلوم في الانبراطورية الساسانية ، او في أماكن من بلاد الشأم ، فقد كان الطبيب الحاذق محتاجاً في هذا اليوم الى تعلم هذا العلم في أماكن متعددة للاستفادة من تجارب الأطباء . وقد كان السفر متصلاً غير منقطع،فلا يستبعد قدوم الأطباء وطلاب الطب من جزيرة العرب الى هذه الأماكن للتعلم فيها .

واشتغلت النساء بالمعالجة والتطبيب أيضاً . فقد قامت (رفيدة) تداوي جرحى المسلمين يوم ذهابهم الى (بني قريظة)[3] . وكانت امرأة تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين . وكانت لها خيمة في المسجد، مسجد الرسول بيثرب تداوي بها الجرحى . ولما جرح (سعد بن معاذ) يوم الخندق ، قال رسول الله : « اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد حتى أعوده من قريب » ، وكان الرسول يزوره في خيمتها في الصباح وفي المساء[4] .

واشتهرت (زينب) ، وهي من (بني أود) بالطب . كانت تطبب وتعالج العين والجراح[5] .

---

١ الاصابة (٢٠٢/٢) ، (رقم ٤١٧٧) ، الاستيعاب (٢٠٩/٢) ، حاشية على الاصابة .
٢ ابن سعد ، طبقات (٢٤١/٤) .
٣ نهاية الارب (١٩١/١٧) .
٤ الاصابة (٢٩٥/٤) ، (رقم ٤٢٤) .
٥ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٤٠/١) ، (١٩٥٧ م) .

والوجع المرض المؤلم[1] ، والعرب تسمي كل مرض وجعاً[2] ، ويعبر عنه بالسقام كذلك[3] . وذكر أن (الوعك) الحمّى او ألمها وأذاها ومغثها في البدن ، وذكر ان الوعك لا يكون إلا من الحمّى دون سائر الأمراض[4] .

وقد عالج الأطباء الجروح بوضع الخرق بعضها فوق بعض على الجرح ، أي بتضميده بها ، ويقال لذلك (الغميل) . وكانوا إذا ارادوا تعريق المريض، غملوه[5]، اي غطوه بالثياب ليعرق ، فيشفى من البرد والزكام . والضماد العصابة او الخرقة تشد فوق الجرح او الرأس ، او اي موضع من الجسم يشتكي من وجود ألم به، فكانوا يضمدون الرأس للصداع ، كما كانوا يضمدون العين ، بوضع الدواء في العين ، أو على الخرقة ثم تضميد العين بها ، ورد ان (طلحة) ضمد عينيه بالصبر ، كذلك كانوا يضعون الأدهان على الضماد، لتضميد الجروح ، أو الأورام او موضع الألم[6] .

ويذكر علماء اللغة أن (النطاسي) ، العالم الشديد النظر في الأمور[7] ، فهي بمعنى الحاذق . ويقال : طبيب نطّيس ونطاسي ، وورد : نطس الاطباء . وهي أكثر ما ترد مع الاطباء ، للدلالة على الحذق والفهم في هذه الصناعة . وذكر علماء اللغة ان اللفظة من المعربات ، عربت من أصل (نسطاس) ، وهي من لغة الروم . والنُطس الاطباء الحذاق ، والعالم بالطب بالرومية[8] .

ولعدم وصول كتب او صحف او أحجار لها علاقة بالطب عند الجاهليين ، اضطررنا الى أخذ معارفنا في الطب من الموارد الاسلامية ، مثل كتب التفسير والحديث والادب ، ففيها إشارات الى بعض الامراض ، وفي بعضها اشارات الى معالجة بعض منها . هذا ، وتفيدنا الموارد الاعجمية في هذا الباب كثيراً ،

---

١ تاج العروس (٥/٥٣٣) ، (وجع) .
٢ ارشاد الساري (٨/٣٤٣) .
٣ تاج العروس (٨/٣٣٦) ، (سقم) .
٤ ارشاد الساري (٨/٣٤٣) ، تاج العروس (٧/١٩٢) ، (وعك) .
٥ تاج العروس (٨/٥٠) ، (غمل) .
٦ تاج العروس (٢/٤٠٥ وما بعدها) ، (ضمد) .
٧ بلوغ الارب (٣/٣٣٨) .
٨ تاج العروس (٤/٢٥٨) ، (نسطاس) ، (نطس) ، (٦/٣١٠) .

لورود أمراض فيها وطرق معالجة ، كانت معروفة وشائعة في الشرق الأوسط قبل الإسلام . ونجد في المعجمات الخاصة بالعهدين القديم والجديد وفي تواريخ الطب القديم معلومات ذات أهمية كبيرة بالنسبة الينا ، لأنها تعيننا على تكوين رأي في الطب عند الجاهليين .

والمذكورون ، هم أطباء نشأوا في المدن ، وأقاموا في الحضر ، وتعلموا من أطباء محترفين . أما الأعراب ، فقد كان لهم أطباء ، ولكن طبهم ، هو طب العرف والعادة . طبّ موروث ،يداوي بالوصفات التي داوى بها الآباء والأجداد، دون تغيير وتبديل وجدل ونقاش . ولهذا ، فهو طب بدائي تقليدي موروث ، يعتمد في بمداواته على قدرة القبيلة،وعلى ما يجده الطبيب حوله من نبات وأعشاب وحيوان ونار فيداوى بها . وما زال الأعراب على طبّهم هذا ، يداوون به على نحو ما داوى أجدادهم وأجداد أجدادهم في الاسلام وقبل الاسلام .

وليس لطب البادية اتصال بالطب الخارجي ، إلا ما كان من طب القبائل القاطنة على مقربة من الحواضر ، أو القبائل التي كان لها اتصال مباشر منتظم أو غير منتظم بالعالم الخارجي . فقد تسرب الى علم (العوارف) فيها نفح من الطب الغريب ، عالج به (عوارف) القبيلة ، واستمروا على المعالجة به ، حتى صار سنّة لهم وطباً قبلياً . ومن أهم صفات الطب القبلي ، انه طب لا يثق إلا بنفسه ، ولا يرى الشفاء إلا من أطبائه وبأدويته المتعارفة عنده . والمريض الأعرابي لا يعمل إلا بطب أصحاب الخبرة من الشيبة والعجائز الذين عرفوا بممارستهم معالجة المرضى؛ وللسن عندهم قيمة في نجاح المعالجة والحصول على الشفاء ، فالسن تجربة وعلم . ولذلك فللمسن المعالج الذي يرجع اليه عند الشكاية من الألم والمرض ، تأثير كبير على المريض من الناحية النفسية،لاعتقاده بأن السنين تزيد في خبرة الانسان وتضيف الى علمه القديم علماً جديداً . لذلك يثق المرضى به ، مع ان طب الأعراب ، لا يعرف البحث والمطالعة لزيادة العلم ، ولا يركن الى التجديد بالحصول على معارف طبية جديدة ، بدراسة أثر أعشاب البادية بصورة مستمرة في شفاء المرضى واستخلاص النتائج من مراقبة تأثير الدواء على حالة المريض .

وقد عرف طب البادية بـ (طب الأعراب) وبطب البادية ، وعرف دواء الأعراب بدواء أهل البادية . وهو دواء نابت من محيطهم يستند على المعالجة بالأعشاب وبالرماد وبالألبان وبأبوال الإبل وبالحرز . ومن أدويتهم (النهاء) دواء

يكون بالبادية يتعالجون به ويشربونه . ويظهر انه من حجر يقول له (النهاء) ، وهو حجر أبيض أرخى من الرخام ، يكون بالبادية ، ويجاء بـه من البحر . وضرب من الخرز[1] .

و (العقار) و (العقاقير) الأدوية . وقيل ما يتداوى به من النبات أو أصولها والشجر[2] . و (العُقار) في الآرامية ما يتداوى به من النبات ، أي دواء[3] .

وطب مثل هذا ، لا يمكن أن يأتي بنتائج ايجابية في معالجة الأمراض الصعبة العسيرة ، وفي حالات مرضية مهمة جداً في نظر بعض الناس ، ولا سيما مشايخ القبائل ، كالعقم وتقوية الشهوة الجنسية ، ولهذا كانوا يلجأون الى أطباء الحضر . وقد أدرك الرهبان والمبشرون أثر هذه الحالات المرضية، ولا سيما الأمراض النفسية منها في نفوس أولئك الرؤساء ، وجلهم ممن درس الطب وقرأ الكتب المؤلفة فيه ومارسه عملياً ، فذهبوا بأنفسهم إلى القبائل للتبشير ،وعالجوا الرؤساء معالجة نفسانية في الغالب ، وأثروا فيهم ، ونجحوا في مثل هذه الحالات في كسب عطفهم عليهم وتأييدهم لهم ، وفي الدخول في جوارهم ، للقيام بالتبشير . ونجد في النتف الباقية عن حياة المبشرين الذين بشروا بين العرب قصصاً من هذا النوع روي في معالجة بعض الرؤساء،يذكر أنهم نجحوا في معالجتهم وأن نجاحهم هذا هو كرامة ومعاجز قد تمت بفضل الله ومنّة المسيح .

ويكون الشفاء عند العرب في ثلاثة : شربة عسل وشرطة محجم وكيّة نار . واذا عجز الطبيب من اشفاء مريضه بما عنده من وسائل لجأ الى (الكيّ) ، ولذلك جاء : « آخر الدواء الكي » . وكان أهل الجاهلية يرون انه يحسم الداء بطبعه فيبادرون اليه قبل حصول الاضطرار اليه ويعالجون بـه أكثر الأمراض . وروى في الحديث قوله : « الشفاء في ثلاثة : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكيّة نار ، وأنهى أمتي ثمن الكيّ »[4] .

والعسل من الأدوية والوصفات التي أمر بها الأطباء في معالجة بعض الأمراض، ولا سيما أمراض المعدة ، عولج به وحده ، وعولج به ممزوجاً بمواد أخرى ،

---

١ تاج العروس (١٠/٣٨٢) ، (نهى) .
٢ تاج العروس (٣/٤١٧) ، (عقر) .
٣ غرائب اللغة (١٩٦) .
٤ ارشاد الساري (٨/٣٦١) « كتاب الطب » .

لتكوين عجائن ولصقات منه[1] . واستعملت العجائن المكونة من الدقيق والتمر والسمن في معالجة أمراض الجلد وآلام المفاصل ، والنزلات . كذلك استعملت لصقات كونت من مواد أخرى في معالجة مثل هذه الأمراض . والمناقع هي من طرق المعالجة أيضاً ، ومنها مناقيع الخل والزيوت .

وقد ورد في رواية : ان الرسول أرسل عكّة عسل الى لبيد الشاعر الشهير حين علم بمرضه ، فشرب منها ، وبرىء[2] ، وفي هذا الخبر دلالة على تداويهم بالعسل .

وقد أقام أهل مكة والحجاز وزناً كبيراً للمداواة بالعسل . ونجد في كتب الحديث وفي كتب الأدب والأخبار إشارات الى هذه المداواة . وقد استعملوا العسل في مداواة « المبطون » الذي يشتكي بطنه من الاسهال المفرط ، ومن سوء الهضم ، لاخراج الفضول المجتمعة في المعدة وفي الأمعاء[3] .

وفي جملة معالجات الأطباء ووصفاتهم للمرضى ، استعمال الحجامة ، أي استخراج مقدار من الدم بكأس يسحب هواؤها بالمص ، فيخرج الدم من الشروط التي عملت في ظهر الرقبة . وقد استخدموها في معالجة الرأس والشقيقة والصداع[4] . والفصد . واستعمال ديدان خاصة لامتصاص الدم[5] . والشقيقة صداع يصيب شقي الرأس ، وان أصاب الصداع قنة الرأس أحدث داء البيضة . وأما الصداع فهو عام[6] .

والفصد ، هو شق العرق لإخراج مقدار من الدم للمعالجة من بعض الأمراض.

---

١ عمدة القارىء (٢١/٢٣٢) ، « عليكم بالشفاءين : القرآن والعسل » العقد الفريد (٦/٢٧٣) .

٢ شرح ديوان لبيد (ص ٢٥ مقدمة) .

٣ ارشاد الساري (٨/٣٧٨ ، ٣٦٣) .

٤ عمدة القارىء (٢١/٢٤٢ وما بعدها) ، « أن عيينة بن حصن دخل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يحجم في نأس رأسه » فقال : ما هذا ؟ قال : هذا خير ما تداويتم به ، « الحجامة والكي » ، العقد الفريد (٦/٢٧٥ وما بعدها) ، ارشاد الساري (٨/٣٧٠) .

٥ عمدة القارىء (٢١/٢٣٠ وما بعدها) .

٦ ارشاد الساري (٨/٣٧٠) .

وقد عرف عند العرب كما عرف عند غيرهم[1]. وقد داووا الصبيان بـ (الفصيدة) تمر يعجن ويُشاب،أي يخلط بدم[2]. والظاهر أن هذا الدم ، هو من دم الفصد. وقد كان الجاهليون يأكلون دم الحيوان ، يجففونه بعد خلطه مع مادة أخرى ، أو وضعه في أمعاء ليجف فيؤكل ، أو مع الشعر ثم يأكلونه ، ومنهم من كان يشرب الدم ، للقوة . و « وفي حديث عكرمة : كان طعام أهل الجاهلية العلهز. قال ابن الأثير : هو طعام من الدم والوبر » ، وذلك أن يخلط الدم بالوبر ، أو الصوف ينفش ويشرب بالدماء ويشوى ويؤكل . وقد نسب أكله الى الفقراء وإلى أيام المجاعة ، وزعم أنهم كانوا يخلطون فيه القردان. أو دم الحلم. ونسب أكله الى القحطانيين ، وذلك في شعر هجاء ، هو :

وإن قرى قحطان قرف وعلهز فأقبح بهذا وبح نفسك من فعل[3]

وهو من الشعر المنبعث عن عاطفة العصبية ولا شك .

وكان الفصد عند العرب من جملة وسائل القتل التي تستعمل في قتل الملوك والأشراف . تمييزاً لهم عن السوقة وسواد الناس الذين يقتلون بحدّ السيف . فقد كان الشريف إذا سقط في أيدي عدوّه ووجد نفسه أنه مقتول لا محالة ، أوصى بإسقائه الخمر ، حتى يسكر ، فيخف بذلك ألمه ثم يفصد عرق اليد فيخرج منه الدم حتى يموت ميتة الأشراف .

واستعمل الكيّ في معالجة أمراض المفاصل ، مثل الرَثْيَة «الروماتزم» ، وقد برع في ذلك الأعراب بصورة خاصّ. وهو معالجة أخذ بها أطباء أهل الوبر أيضاً، وطريقتهم هي كي الجزء المريض بحديدة محماة ، أو بحجر محمى . وقد استعمل الكي أيضاً في معالجة الجروح والقروح ووجع الرأس . وفي العربية مثل قديم له علاقة به ، هو : آخر الدواء الكي . فالكي اذن معالجة يلجأ اليهـا حينما يعيا الدواء عن الشفاء . واستعمل في معالجة الاستسقاء . بالكي على البطن[4] . وينسب أهل الأخبار المثل المذكور الى (لقمان بن عاد)[5] . وفي نسبتهم هذه المعالجة اليه

---

١ اللسان (٣/٣٣٦) ، (فصد) .
٢ اللسان (٣/٣٣٦) ، (فصد) ، تاج العروس (٢/٤٥٣) ، (فصد) .
٣ تاج العروس (٤/٦١) ، (العلهز) .
٤ الفاخر (ص ٥٨ ، ١٢٦) .
٥ الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب (١/٣) ، (حيدر آباد الدكن ١٩٦٢ م) .

دلالة على قدمها عند العرب . وهي معالجة لا زال الأعراب يستعملونها في مداواة أمراض عديدة عندهم ، لا سيما في معالجة أمراض الروماتزم . وقد ورد أن (خباب بن الأرت) اكتوى في بطنه سبع كيّات[1] .

و (الرثية) وجع المفاصل واليدين والرجلين ، وقيل وجع الركبتين والمفاصل ، أو ورم وظلاع في القوائم ، أو هو كل ما منعك من الالتفات أو الانبعاث من كبر أو وجع[2] .

وقد استعملوا (الكي) للشوكة . والشوكة حمرة تظهر في الوجه وغيره من الجسد . وقد كوى (أسعد بن زرارة) من الشوكة[3] . وقيل الشوكة داء كالطاعون ، وكانوا يسكنون الشوكة بالرقي كذلك[4] .

والبصل والثوم والكمون والكرفس والخردل هي من النباتات التي عولج بها ، فاستعمل البصل لمعالجة النزلات الصدرية وبعض أنواع الحميات وللقضاء على الديدان في داخل الجسم . واستعمل الثوم لمعالجة أمراض المعدة والديدان أيضاً، وفي معالجة أمراض القلب[5] . واستعمل الكمون في معالجة النزلات الصدرية كذلك . وهو من الأدوية المعروفة عند غير العرب أيضاً ، فقد كان العبرانيون يستطبون به[6] ، وكانوا يحصلون عليه بواسطة الفينيقيين والعرب . وأحسنه هو الكمون المستورد من (سيلان)[7] . وعالجوا به في الادرار ، وفي مطاردة الريح في المعدة وللهضم[8] .

وعولج بالسنا وبالشبرم وبالزبيب ، ويرون أن الزبيب يُذهب النّصب، ويشد العصب ، ويطفىء الغضب ، ويصفي اللون ، وبالسفرجل ويرون أنه يشد القلب، ويطيب النفس ويذهب بطخاء الصدر[9] . وعالجوا بالتين ، استعملوه لمعالجة الإمساك والكبد والطحال[10] ، وعالجوا بالرمان[11] .

---

١ ارشاد الساري (٨/٣٥٦) .
٢ تاج العروس (١٠/١٤٤) ، (رثى) .
٣ الطبري (٢/٣٩٨) ، النهاية لابن الاثير (٤/٢٤٠ وما بعدها) .
٤ تاج العروس (٧/١٥٢) ، (شوك) ، اللسان (١٠/٤٥٥) ، (شوك) .
٥ « الثوم : ويسمى ترياق البدو » ، شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الاول (ص ٢٧٠) .
٦ The Bible Dictionary, I, p. 275.
٧ تاج العروس (٩/٣٢٢) ، (كمن) .
W. Smith, A Dictionary of the Bible, I, p. 330.
٨ تاج العروس (٩/٣٢٢) ، (كمن) .
٩ العقد الفريد (٦/٢٧١ وما بعدها) .
١٠ تاج العروس (٩/١٥٤) ، (التين) .
١١ تاج العروس (٩/٢١٩) ، (رمان) .

و (الحُلْبَةُ) من النبات الذي عولج به في أمراض كثيرة ، فعولج به أمراض الصدر مثل الربو والسعال والبلغم،وعولج به الكبد والمثانة والبواسير وآلام الظهر . وذكر أن (الحلبة) طعام أهل اليمن عامة ، وبالغوا في فوائدها حتى رووا أن حديثاً ورد فيها : « لو يعلم الناس ما في الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهباً »[1] .

وتطيب بالسعوط والنشوق . وقد استعملوا لذلك جملة مواد ، منها : دهن الخردل ، ودهن البان ، والقسط الهندي والبحري ، وبالعود الهندي والكافور . وقد استخدم العود الهندي في معالجة ذات الجنب[2] . ويرى بعض الباحثين أن النشوق من أصل آرامي هو (نسكو Nosko) من Nsk بمعنى أسال في شيء ، أي دواء يسكب في الأنف[3] . واستخدم (السُنبل) ، وهو نبات طيب الرائحة في التداوي كذلك ، ويعرف بـ (سنبل) في السريانية أيضاً[4] .

وذكر أن (السعوط) اسم الدواء يصب في الأنف . وذلك بأن يوضع الدواء في إناء يجعل فيه السعوط ويصب منه في الأنف ويقال للإناء المِسعط والسعيط والمُسعط[5] . ويستعمل السعوط من مختلف الدهون . وقد استعمل في مداواة (العذرة) ، وهو وجع يأخذ الطفل في حلقه ، يهيج من الدم أو في (الخرم) الذي هو بين الأنف والحلق ، وهو سقوط اللهاة . وقيل قرحة تخرج بين الأنف والحلق تعرض للصبيان غالباً عند طلوع العذرة.وهي خمس كواكب تحت الشعرى، أي العبور وتطلع وسط الحر[6] .

و (القسط) عود يجاء به من الهند ، فعرف لذلك بالقسط الهندي ، وعود يؤتى به من اليمن ، ويعرف بالقسط البحري . وعود عرف بـ (قسط أظفار) وقسط عرف بـ (القسط المر) وهو كثير ببلاد الشأم . ويقال للقسط (الكست) و (كشط) . وذكر ان الرسول أشار الى (القسط) فقال : « عليكم بهذا العود الهندي ، فإن فيه سبعة أشفية : يستعط به من العذرة ويلدّ به من ذات

---

١ تاج العروس (٢/٣١٢) ، (طبعة الكويت) ، (١/٢٢٢) ، (حلب) .
٢ عمدة القارىء (٢١/٢٣٨ وما بعدها) ، العقد الفريد (٦/٢٧٥) ،
٣ غرائب اللغة (ص ٢٠٧) .
٤ غرائب اللغة (ص ١٨٩) .
٥ اللسان (٧/٣١٤ وما بعدها) ، (سعط) .
٦ ارشاد الساري (٨/٣٦٧) .

الجنب[1] . وقد استعمل القسط بخوراً ودواء . وهو من نبات أصله من الهند ، يقال له (قسطس) ، وهو معروف عند غير العرب أيضاً ويداوى به[2] .

وعالجوا بـ (العيد) ، شجر جبلي ضمدوا بلحائه الجرح الطري فيلتئم[3] . وبـ (السنى) ، نبت يتداوى بـه . وقد جاء ذكره في الحديث . وقد خلطوه بالحنّاء لتقوية اللون وتسويده[4] . وداووا بـ (السعتر) (الصعتر)[5] ، وبالقرطم ، في معالجة أمراض عديدة[6] .

وقد كانت النساء تعالج الصبيان من العذرة بالغمز ، وذلك أن المرأة كانت تأخذ خرقة فتفتلها فتلاً شديداً وتدخلها في حلق الصبي وتعصر عليه ، فينفجر منه دم أسود وربما أقرحته[7] .

وعرف (الدرياق) (التّرياق) في التطبيب به . استعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين ، والعرب تسمي الخمر (ترياقاً) و (درياقاً) لأنها تذهب بالهم . و (التّرياق) ، فارسيّ معرب . ويقال درياق . بالدال أيضاً . « وفي الحديث إن في عجوة العالية ترياقاً . التّرياق ما يستعمل لدفع السُمّ من الأدوية والمعاجين»[8].

والبلسم ، من المواد المهمة في المعالجات الطبية ، وقد اشتهر كثيراً في الطب القديم ، ليس عند العرب فقط ، ولكن عند أكثر الأمم الأخرى . اشتهر في معالجة الجروح خاصة ، اذ هو مادة صمغية تضمد بها الجراحات . ووطنه بلاد الحبشة ، واشتهر من أنواعه الجيدة (بلسم جلعاد) عند العبرانيين ، وهو ذو رائحة عطرة . وقد مدحه الأطباء وأثنوا عليه في معالجة الأمراض والجروح[9] .

وذكر علماء اللغة أن (البلسم) ، هو (البلسام) وهو البرسام ، والموم .

---

١ ارشاد الساري (٣٦٧/٨) ، اللسان (٣٧٩/٧) .
٢ غرائب اللغة (٢٦٥) .
٣ تاج العروس (٤٣٨/٢) ، (عود) .
٤ تاج العروس (١٨٥/١٠) ، (سنى) .
٥ تاج العروس (٢٦٩/٣) ، (السعتر) .
٦ تاج العروس (٢٤/٩) ، (قرطم) .
٧ ارشاد الساري (٣٦٩/٨) .
٨ اللسان (٣٢/١٠) ، (ترق) .
٩ قاموس الكتاب المقدس (٢٤٥/١) . Hastings, p. 872. f.

والبلنسم: القطران[1] . و (البلسم) هو (بلسمون) ، و (بلسان) Valsamon [2].

وقد استعمل لحاء (العقد) لتضميد الجرح الطري ، فيلتحم لخاصية فيه[3] : وعالجوا بـ (البان) ، وهو شجر معروف ، ذكر في شعر (امرىء القيس)، ولحب ثمره دهن ، وحبّه نافـع للبرش ، والنمش ، والكلف ، والحصف ، والبهق ، والسعفة ، والجرب ، وتقشر الجلد ، واستعمل في الاسلام لمداواة أمراض عديدة[4] .

و (السفوف) كل دواء يؤخذ غير معجون ، مثل سفوف حب الرمان وغيره[5] . وترد اللفظة في الآرامية بالمعنى نفسه ، وهي من المعربات عنها[6] .

واستعملت الزيوت في معالجة عدد من الأمراض والجروح،فاستعملت في معالجة البطنة مثلاً . وقد تخلط بغيرها،كالخمر أو الخل أو الملح،وقد تغلى ثم توضع على الجرح لقطع النزيف منه ولتعقيمه . والمعالجة بالزيوت ، قديمة معروفة عند المصريين والعبرانيين واليونان وغيرهم ، أشير اليها في كثير من الموارد القديمة[7] . وعولج (الباسور) بدهنه بزيت الزيتون[8] .

وعالجوا باستعمال (الحبّة السوداء) . استعملوها قليلاً ، وأكلاً ولطوخاً ، كما سحقوها وخلطوها بالزيت لاستعمالها قطرات في معالجة أمراض الأنف . وقد كانوا يبالغون في منافعها ، فاستعملوها في معالجة أمراض كثيرة باطنية وخارجية[9] وذكروا أن الرسول قال : « إن هذه الحبّة السوداء شفـاء من كل داء ، إلاّ السام) ، والسام الموت[10] .

وعولج بالألبان ، ولا سيما ألبان الإبل . وهم يفضلون لبن الإبـل على سائر

---

١ تاج العروس (٢٠٦/٨) ، (بلسم) .
٢ غرائب اللغة (٢٥٥) .
٣ تاج العروس (٤٢٧/٢) ، (عقد) ، (٤٣٨/٢) ، (عود) .
٤ تاج العروس (١٤٧/٨) ، (بون) .
٥ تاج العروس (١٣٩/٦) ، (سف) .
٦ غرائب اللغة (١٨٧) .
٧ The Bible dicti., vol., II, p. 154.
٨ العقد الفريد (٢٧٤/٦) .
٩ عمدة القارىء (٢٣٥/٢١ وما بعدها) .
١٠ ارشاد الساري (٣٦٥/٨ وما بعدها) .

الألبان[1] . وقد عولج به مختلف الأمراض ، ومن ذلك (السقم)[2] .

وعالجوا بأبوال الإبل أيضاً . وورد في شعر (لبيد بن ربيعة العامري) أنهم عالجوا ببول الإبل ، وكانوا يغلونها أحياناً ليشربها المريض[3] .

وعولج بـ (التلبينة) ، حساء من نخالة ولبن وعسل ، وقيل حساء يتخذ من ماء النخالة فيه لبن . وذكر أنها تُجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن وتنظف المعدة[4] . وعالجوا بالحساء لغسل البطن وتنظيفها من سوء الهضم[5] .

وعولج بإهراق الماء على المريض ، وذلك في أمراض الحمى ، وفي الأمراض التي يشعر المريض بأن في جسمه حرارة والتهاباً ، فيجلس على كرسي ويصب الماء عليه ، حتى يخفف من شدة حرارة المريض[6] . كما عولجت الحمى بنصح المريض بالاكثار من شرب الماء البارد وغسل الأطراف[7] .

وللمحافظة على الأسنان ولظهورها بيضاء نظيفة ، استعملوا السواك وبعض الأعواد لاستخراج الفضلات التي تتخلل الأسنان ، وما زال الحجاج يستوردون المساويك من مكة . وقد اشتهرت مكة منذ الجاهلية بالسواك ، يستخرج من أغصان أشجار تنبت هناك ، لأغصانها رائحة طيبة ، وتساعد على تبييض الأسنان . ومن المواد التي عملت منها المساويك : البشام ، والضرو ، والعثم ، والأراك ، والعُرجون ، والجريد ، والإسحل[8] .

وقد حث الاسلام على تنظيف الأسنان بالمسواك . ورد في الحديث : « السواك مطهرة للفم » أي يطهر الفم . وأشير الى المسواك في الشعر ، إذ ورد :

وكأن طعم الزنجبيل ولذة صهباء ساك بها المسحر فاها

---

١ عمدة القارىء (٢١/٢٣٤ وما بعدها) .
٢ ارشاد الساري (٨/٣٦٤) .
٣ شرح ديوان لبيد (ص ١١٦) ، عمدة القارىء (٢١/٢٣٤ وما بعدها) ، ارشد الساري (٨/٣٦٤ وما بعدها) .
٤ ارشاد الساري (٨/٣٦٦ وما بعدها) ، اللسان (١٣/٣٧٦) ، (لبن) .
٥ ارشاد الساري (٨/٣٦٦ وما بعدها) .
٦ ارشاد الساري (٨/٣٧٧) .
٧ ارشاد الساري (٨/٣٨١) .
٨ البيان (٣/١١٤) .

وهو للشاعر (عدي بن الرقاع) ، وورد في شعر آخر :

إذا أخذت مسواكها ميحت به رضاباً كطعم الزنجبيل المعسل[1]

واستعمل الإثمد والكحل في معالجة الرمد[2] ، كما استعملوا قطرات من أدوية استحضروها مثل ماء الكمأة في معالجة أمراض العين[3] . وذكر ان الإثمد يحدّ البصر ، ويقوي النظر[4] .

والكحل ، من جملة مواد تطبيب العيون ، ومن جملة وسائل الزينة كذلك . يستعمله الرجال والنساء . وقد كان معروفاً عند الشعوب الأخرى ، يصنع من حرق اللبان أو قشور اللوز ،ومن السخام المتبقي من حرق بعض الدهون والزيوت[5]. وقد عرفت مكة بصنع الكحل قبل الإسلام ، ولا تزال مشهورة به . وقد كان الناس يحملون المكاحل في جيوبهم ويحتفظون بها في بيوتهم ، يعملونها من القرون أو المعادن ، ويبالغ الأغنياء منهم في زخرفتها وفي تزيينها للتبجح بها عند اخراجها أمام الناس[6] .

ونصحوا بتنقيط نقط من ماء بارد في العين عند النهوض من النوم ، لجلائها وإزالة الغشاوة عنها ، كما نصحوا بوضع القدمين واليدين في ماء بارد أو حار ، وذلك لمعالجة العين ، ولمعالجة القدمين واليدين أيضاً . وقد عرف العبرانيون هذه المعالجة كذلك[7] .

وكانوا يعالجون الماء الأسود الذي يحدث في العين بالنقب ، أي القدح . وقد ورد في حديث (أبي بكر) أنه اشتكى عينه فكره أن ينقبها[8] . و (الناقب)

---

١ تاج العروس (٧/١٤٦) ، (سوك) .

٢ عمدة القارىء (٢١/٢٤٥) ، ارشاد الساري (٨/٣٧٣) .

٣ عمدة القارىء (٢١/٢٤٨) ، « ان الكمأة من اكمن ، وماؤها شفاء للعين ، وهي شفاء من السم » ، العقد الفريد (٦/٢٧٢) .

٤ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الاول ، (ص ٢٦١) ، « عليكم بالاثمد عند النوم ، فانه يحد البصر ، وينبت الشعر » العقد الفريد (٦/٢٧٣) .

٥ The Bible dictio., vol., II, p. 234.

٦ Hastings, Dict., vol., I, p. 814.

٧ Ency. of Relig. knowledge, vol., III, p. 1456.

٨ تاج العروس (١/٤٩٣) (نقب) .

و (الناقبة) داء يعرض للإنسان من طول الضجعة ، وقيل هي القرحة التي تخرج بالجنب[1] . وعالجوا المـــاء الأبيض باستعمال الأشياء الرفيعة الحادة مثل السكين أو العاقول ، لرفع الغشاء الرقيق وسحبه عن للعين ، بعد اكتمال نزول الماء بها .

ولقطع نزيف الدم المنبعث من الجروح ، استعملوا الرماد[2] ، والزيوت المغلية تسكب على الجرح ، لقطع نزيف الدم . أما النزيف النـازل من الأنف ، وهو الرعاف ، فقد استخدموا الماء البارد لقطعه . وقـد عرفوا كذلك ربط الجروح بشدة حتى يقف الدم فينقطع ، واستعملوا الضماد والمناديل لمنع الدم من الخروج، ومن ذلك قولهم : ضمد الجرح ، أي شده[3] . واستعملوا حرق الحصير والمواد القابلة للاشتعال لاستعمال رمادها لقطع النزيف[4] ، أو وضع الملح على الجرح لايقاف نزيف الدم منه . ولمعرفة عمق الجروح ومقدار غورها ، استعملوا آلة يسمونهـا المسبار[5] . والسِّبار[6] ، فتيل يجعل في الجرح[7] . ويعبرون عن مداواة الجرح بقولهم أسا الجُرحَ ، أي داواه وشفاه[8] .

وقد عولج الإمساك بالحقن ، أي حقن المريض ، وباستعمال المسهلات لتليين المعدة[9] .

والباسور من الأمراض المعروفة عند الجاهليين ، وقد أشير اليه في كتب الحديث[10]. « وفي حديث عمران بن حصين ، وكان مبسوراً ، أي به بواسير » . واللفظة معربة . والبواسير جمع (باسور)[11] . والناسور علة تحدث في حوالى المقعدة ، وعلة تحدث في المآقي ، وفي اللثة[12] .

---

١ تاج العروس (١/٤٩٣) ، (نقب) .
٢ عمدة القارىء (٢١/٢٥٣) ، صحيح مسلم (٥/١٧٨) .
٣ غرائب اللغة (ص ١٩٣) .
٤ ارشاد الساري (٨/٣٨٠) .
٥ المغرب (٢٤٠) .
٦ ككتاب ، المعاني الكبير (٢/٩٨٣) .
٧ شرح القاموس (٣/٢٥٣) .
٨ غرائب اللغة (ص ١٧٢) .
٩ المغرب (١٣٣) ، تاج العروس (٩/١٨٢) ، (حقن) .
١٠ صحيح البخاري (٢/٤٨١) ، الجمهرة (١/٢٥٥) ، المعرب للجواليقي (٥٨) .
١١ تاج العروس (٣/٤٢) ، (بسر) .
١٢ تاج العروس (٣/٥٦٤) ، (نسر) .

وعولجت الأورام التي تصيب الجلد بالمناقيع واللصقات ، ولا سيما اللصقات الحارة ، كي تعجل في اخراج الصديد من العضو المتورم . واستعملت هذه اللصقات من سحق بعض الحبوب ذات المادة الدهنية ، مثل حب الكتان أو حب البخور ، وبعد سحقها توضع على النار ثم تفرغ في قماش لتوضع فوق الورم لازالته ، وتحويله الى صديد . واستعملت من مواد أخرى مثل التمر مع الزبد وأمثالها ، وكلها على أساس ان الدفء الذي يكون فيها يسبب زوال الورم وتحوُّل الدم الفاسد الى صديد يخرج أو يجف .

واستعمل (الزقوم) في معالجة الجروح . وهو مرّ شديد المرارة ، وأشير الى (شجرة الزقوم) و (شجر من زقوم) في القرآن الكريم[1] ، ولما نزلت الآية لم تعرف قريش معنى الكلمة ، « فقال أبو جهل : إن هذا الشجر ما ينبت في بلادنا ، فمن منكم يعرف الزقوم ؟ فقال رجل قدم عليهم من أفريقية : الزقوم بلغة أفريقية : الزبد بالتمر . فقال أبو جهل : يا جارية هاتي لنا زبداً وتمراً نزدقه ، فجعلوا يأكلون منه ويقولون : أفبهذا يخوفنا محمد في الآخرة ! »[2] . والزقوم تنبت بالبادية له زهر ياسميني الشكل . وقيل شجرة غبراء صغيرة الورق مدورتها لا شوك لها ذفرة مرة لها كعابر في سوقها كثيرة ولها وريد ضعيف جداً يجرسه النحل ونورتها بيضاء ورأس ورقها قبيح جداً . وفي أريحا شجرة يقال لها الزقوم لها ثمر كالتمر حلو عفص ، ولنواه دهن عظيم المنافع في تحليل الرياح الباردة وأمراض البلغم وأوجاع المفاصل والنقرس وعرق النسا ، وذكر أن أصلها من الهند ، جاءت به بنو أميّة من أرض الهند وزرعته بأريحا[3] .

وعولجت كسور العظام بالجبائر ، وبالدلك ، ووضع المناقيع فوق العضو المصاب عظمه بالكسر ، والجبيرة : العيدان التي تجبر بها العظام ، وذلك بعد جبر المجبر لها[4] .

ومن المصطلحات الطبية المتعارفة عند الجاهليين : (البطنة) ، وهي التخمة .

---

١ الصافات ، الآية ٦٢ ، الدخان ، الآية ٤٣ ، الواقعة ، الآية ٥٢ .
٢ تاج العروس (٣٢٦/٨) ، (زقم) .
٣ تاج العروس (٣٢٦/٨) ، (زقم) .
٤ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الثاني (ص ٢٩٧) .

وتعالج بالحمية وبالمنتقعات والحقن . وقد عرف الجاهليون أثر المعـدة في الصحة العامة ، فعُدّت بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء .

والأمراض التي تعرض لها الجاهليون عديدة ، منهـا : العمى ، والعَوَر ، والتهاب العيون ، والرمد ، ومنها : ما يصيب الجلد ، مثل البرص والوضح ، والبهق ، والحكة ، والدمامل ، والبثور ، والجرب ، والقرح ، ومنها أمراض داخلية ، مثل أوجاع المعدة والكبد واليَرَقان والصداع والشقيقة ، وذات الجنب وأوجاع المفاصل والعظام ، والفالج ، والسل ، والحمى ، وأمراض أجهزة البول والحمى والبُرَداء . وأمراض القلب والرعشة والجنون والأمراض العصبية الأخرى وغير ذلك من أمراض لا تزال معروفة .

ومن الأمراض المعروفة عند الجاهليين البرص ، وهو مرض يصيب الجلد ، وهو غير الجذام ويطلقون عليه (الوضح) كذلك ، لبياض يظهر في ظاهر البدن [1] ومنه قيل لجذيمة الأبرش جذيمة الوضاح[2] . وقد كان معروفاً في الشرق الأدنى ، وأشير اليه في التوراة ، وهو نوع من (البسورياس) Psoriasis أو (اللبرا) Lepra, Leprosy[3] . ويظهر انه كان كثير الانتشار ، وممن أصيب به (الحرث ابن حلزة اليشكري)[4] ، وجماعة آخرون من الأشراف والمعروفين ذكـرهم أهل الأخبار[5] .

وقد نعت البرص ببعض النعوت، فقيل لمن به برص (المحجل)[6]، و (الوضاح)، و (الوضح) البرص . وقد كان الناس يكرهون مجالسة البُرْص خشية العدوى ، فكان الملك (عمرو بن هند) يتجنب مؤاكلة البُرص ، ويأمر بنضح الأمكنـة التي يجلسون عليها حذر العدوى[7] . وكانت قريش قد أخرجت (أبا عزة ، عمرو

---

١ تاج العروس (٤/٣٧٣) .
٢ « ويكنى به عن البرص ، ومنه قيل لجذيمة الابرش : الوضاح . وسيأتي الكلام عليه وفي الحديث : رجل بكفه وضح ، أي برص » تاج العروس (٢/٢٤٧) .
٣ قاموس الكتاب المقدس (١/٢٢٠ وما بعدها) ،
The Univer. Jewish Ency., 7, p. 434.
٤ شرح المعلقات السبع ، للزوزني « دار صادر » (ص ١٥٤) .
٥ المحبر (ص ٢٩٩ وما بعدها) .
٦ المحبر (ص ٣٠١) .
٧ شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٥٤) .

ابن عبدالله بن عمـــير بن وهيب بن حذافة) ، وهو من البُرص ، من مكة مخافة العدوى ، فكان يكون بالليل في شُعَف الجبال ، وبالنهار يستظل بالشجر [١] .

وأما الجذام ، فإنه من الأمراض المعدية ، وقد كان معروفاً بين الجاهليين ، وقد ورد النهي عن الاختلاط بالمجذومين في حديث : « فر من المجذوم فرارك من الأسد » مما يدل عـــلى شدة عدواه واختلاط المجذومين بين الناس في ذلك العهد . وذكر علماء اللغة أن الجذام علة تحدث من انتشار السوداء في البدن كله ، فيفسد مزاج الأعضاء وهيأتها ، وربمـــا انتهى الى تقطع الأعضاء وسقوطها عن تقرح [٢] .

و (البهق) ، هو مرض جلدي أيضاً ، يترك بياضاً في الموضع المصـاب من الجسد ، وهو (زرعة) في العبرانية . ويدعى Laprosy [٣] .

وقد كانت أمراض الجلد من الأمراض المتفشية بالنسبة الى تلك الأزمنة ، لقلة العناية الطبية وللفقر وعدم توفر وسائل النظافة والتنظيف بين معظم الناس . ولسوء تغذيتهم بسبب فقرهم العام .

و (السفعة) من أمراض الجلد ، وهي سواد أو حمرة يعلوها سواد أو صفرة ، تظهر في الوجه . وقد علل حدوثها بإصابة العين [٤] . والثؤلول ، بثر صغير صلب على صور شتى تصيب الجسد [٥] . وقـد مات (أبو سفيان بن الحارث بن عبـــد المطلب) من ثؤلول كان برأسه ، حلقه حلاق فقطعه فمات منه [٦] .

ومن الأمراض الخطيرة التي أشير اليها في كتب الحديث والأخبار : الحمى ، وقد كانت شديدة الانتشار في المدينة [٧] ، حتى أضعفت أجسام معظم أهل المدينة والمهاجرين . وهي علة يستحر بها الجسم . وقد أهلكت كثيراً من الناس ، ولذلك

---

١ المحبر (ص ٣٠٠ وما بعدها) .
٢ تاج العروس (٨/٢٢٣) ، تفسير الطبري (٣٠/٢٠٠) .
٣ Hastings, A Dictionary of Chirst and The Gospels, II, p. 24.
٤ ارشاد الساري (٨/٣٩٠) .
٥ تاج العروس (٧/٢٤٣) ، (ثئالل) .
٦ الاصابة (٤/٩٠) ، (رقم ٥٣٨) .
٧ « والحمى والحمة : علة يستحر بها الجسم من الحمم ، قيـــل سميت لما فيهـــا من الحرارة المفرطة ، ومنه الحديث : الحمى من فيح جهنم » ، تاج العروس (٨/٢٦١) (حمـــم) .

قيل : الحُمى رائد الموت ، أو بريد الموت ، وقيل : باب الموت[1] . وقد اشتهرت خيبر بنوع خاص من الحمى عرف باسمها ، فقيل : حمى خيبرية وحمى خيبر وحمى خيبري[2] . وذكر علماء اللغة أسماء للحمى تحكي صفاتها وكيفية ظهورها وتحكمها في البدن ، فقالوا : حمى الغب ، وذلك اذا أخذت المريض يوماً وتركته يوماً[3] ، وحمى الربع ، وحمى الصالب ، وهي الحمى التي يكون معها صداع ، والنافض ، والراجف التي تكون معها رعدة ونفضة ، وحمى مغبطة ومردمة ، أي دائمة عليه لا تقلع ، وتسمى الحمى المطبقة أيضاً ، والوعك الحمى ، وحمى الروح ، وحمى الدِقّ أن يغمى عليه في الحمى ، والورد هو يوم الحمى . ويقال للعرق الذي يتصبب من الحمى : الرُحَضاء ، ولأول ما يحس بالحمى : المسّى[4] . ويقال في السريانية للحمى (حمتو) Hemto بمعنى حرارة[5] .

وذكر أن (حمى صالب) ، أو (الصالب) حمى معها حرّ شديد وليس معها برد . وقال بعض علماء اللغة : الصالب من الحمى الحارة خلاف النافض . وقيل هي التي فيها رعدة وقشعريرة[6] . و (الحمة) في تعريف العلماء علة يستحر بها الجسم ، سميت لما فيها من الحرارة المفرطة ، وإما لما يعرض فيها من الحميم ، وهو العرق . ورد في الحديث : الحمى من فيح جهنم[7] .

وقد لاقى الرسول[8] والصحابة شدة من (حمى) المدينة ، وقد ذكر أن (أبا بكر) كان إذا أصابته الحمى – وكانت تزوره مناوبة – قال :

كل امرىء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

---

١ تاج العروس (٨/٢٦١) ، (حمم) .

٢ « قال الشاعر الاخنس بن شهاب :
كما اعتاد محموما بخيبر صالب » تاج العروس (٣/١٦٩) .

٣ تاج العروس (١/٤٠٣) ، (غب) .

٤ بلوغ الارب (٣/٣٣٩ وما بعدها) .

٥ غرائب اللغة (ص ١٧٩) .

٦ تاج العروس (١/٣٣٨) ، (صلب) .

٧ تاج العروس (٨/٢٦١) ، (حمم) .

٨ ارشاد الساري (٨/٣٤٩ وما بعدها) .

وكان بلال ، إذا أقلعت عنه الحمى ، يقول :

ألا ليتَ شعري هل أبيتن ليلة بـــوادٍ وحولي اذخر وجليـــل
وهـــل أردن يوماً ميـــاه مجنة وهـــلْ تبدون لي شامة وطفيـل

وكان عامر بن فهيرة ، يقول :

قد وجدت الموت قبـــل ذوقه كـــل امرىء مجاهد بطوقـــه
كالثور يحمي جسمه بروقه[1]

الى غير ذلك مما يخبر عن شدة وقع تلك الحمى في أجساد المهاجرين ، ولما رأى الرسول ما حلّ بصحابته من هذه الحمى ومن ضجرهم من الإقامة بيثر بسببهـــا توسل الى الله أن يخفف عنهم أذاها وأن يزيل عنها هـــذا المرض و يبرأها منه[2] .

ويقسم العرب الحمى الى نوعين : حمى يشعر الانسان فيها بحرارة شديدة تصيب الجسم ، قد تجعله يتصبب عرقاً من شدة وقع الحمى على الجسم ، ولا يكون ما برد ، وقد يصاب المريض بها بصداع ووجـــع شديد في الرأس ، وحمى يشعر الانسان فيها بنفضة ورعدة وقشعريرة ، يقال لهـــا (نافض) و (النافض) و (حمى نافض)[3] ، وهي حمى الرعدة ، لوجود رعـــدة وقشعريرة بها تصيب الجسم[4] . ويقول العرب لقرة الحمى ومسها في أول ،عدّها (العرواء) ، وقد أول ما تأخذ من الرعدة[5] . ويقال لهذه الحمى (الراجف) ، لأنها ذات رعدة ترجف مفاصل من هي به[6] . و (القعقاع) ، وهي حمى نافض تقعقع الأضراس[7] و (القفة)[8] .

---

١ ارشاد الساري (٣٤٧/٨) .
٢ « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة » ارشاد الساري (٣٤٧/٨) .
٣ تاج العروس (٩٢/٥) ، (نفض) .
٤ تاج العروس (٣٥٤/٢) ، (رعد) .
٥ تاج العروس (٢٣٩/١٠) ، (عرى) .
٦ تاج العروس (١١٣/٦) ، (رجف) .
٧ تاج العروس (٤٧٧/٥) ، (قع) .
٨ تاج العروس (٢٢٥/٦) ، (قف) .

وقد كانت الحمى منتشرة في المواضع التي تكون فيها الينابيع والمستنقعات والمياه الآسنة الواقفة وما شاكل ذلك من أمكنة ، ولما كان العرب في حاجة شديدة الى الماء ، كانوا يشربون منها اضطراراً ، فأصيبوا بسبب ذلك بأنواع من الأمراض : وقد كانت وسائل مقاومة البعوض الناقل للحمى غير معروفة ، كما ان وسائل العناية بالصحة وتنظيف الجسم لم تكن متوفرة عندهم بسبب فقر أكثرهم ، لذلك صارت أجسامهم معرضة لمختلف الأمراض ، ولا سيما بين أهل المدر الذين لم تكن بيوتهم صحية ، ولا مياههم نقية ، وكانت بيوتهم ضيقة غير صحية ، فكانوا يصابون بالسل وبالأمراض الأخرى ، أكثر من الأعراب المتباعدين في السكن ، والذين لا يعرفون البعوض ، ويستنشقون الهواء النقي ، وتقيهم الشمس من شر الجراثيم .

والذبحة ، وهي داء يأخذ بالحلق ، وقد كان معروفاً بين الجاهليين ، وكانوا يعالجونها بالكي . ذكر أن الرسول كوى (أسعد بن زرارة) في حلقه من (الذبحة) ، وقيل (الشوكة)[1] . وأنه عاد (البراء بن معرور) ، وأخذته الذبحة ، فأمر من لعطه بالنار[2] :

وقد أشير الى مرض عرف بـ (خبط) في نصوص المسند ، وقد فسر أنه برد شديد في الرأس[3] .

وقد كانت الأوبئة تفتك بالناس فتكاً ، فكان الأغنياء والموسرون يفرون من الأماكن المزدحمة الى أماكن بعيدة ، ويلجأون إلى الصحارى ابتعاداً عن المصابين بها . وكانوا يرجعون أسبابها وأسباب الأمراض عموماً الى غضب الآلهة على الناس ، والى أرواح شريرة تصيب الجسم من الأكل والشرب ، والى أنواع من الهوام والحشرات . ومن أشهر أنواع هذه الأوبئة الطاعون والجدري والهيضة .

والطاعون المرض العام والوباء ، وقد أشير اليه في كتب الحديث . ويظهر انه كان منتشراً معروفاً في الحجاز وفي سائر أنحاء جزيرة العرب آنئذ[4] . وقد جعل

---

١ اللسان (٢/٤٣٨) ، (ذبح) ، الاصابة (١/٥٠) ، (رقم ١١١) .
٢ اللسان (٢/٤٣٨) ، (ذبح) .
٣ Mahram, p. 437.
٤ تاج العروس (٩/٢٦٩) ، « طاعون عمواس » في أيام عمر ، ارشاد الساري (٨/٤٨٣ وما بعدها) .

بعض العلماء الطاعون نوعاً من أنواع الوباء ، وفرّق بينهما بعض علماء اللغة ، وجعلوا الوباء المرض العام عامة ، مهما كان ، مثل انتشار الحمى والجُدَري والطاعون والنزلات والحكه والأورام . وقد ذُكرت الأوبئة في كتب الحديث[1] . و (الدبل) الطاعون[2] .

ونسب الجاهليون حدوث الطاعون الى (وخز الجن) ، فهو يقع لأن الجن تطعن الشخص وتخزه فيصاب بالطاعون . وقد أشار الى هذا الرأي (حسان بن ثابت) ، أشار اليه في أثناء حديثه عن أعاصير نزلت بـ (بصرى) وبـ (رمح) وعن (دخان نار) ، حتى أثرت في كل قصر ومنزل في ذينك المكانين ، ثم أعقب ذلك (وخز جن بأرض الروم)[3] ، أي بلاد الشأم وفيها المكانان المذكوران إذ كانت تحت حكم الروم ، كما أشار الى هذه الفكرة شاعر آخر اسمه (الغساني)[4].

ونجد في كتابات المسند إشارات الى أوبئة تكتسح البلاد فتفني عدداً كبيراً من الناس . فنجد فيها أن فلاناً يحمد آلهته لأنها منت عليه بالعافية وأنقذته من الوباء الذي تفشى في أيامه فأهلك الناس.وقد كان القدراء من الناس يهربون من الأرضين الموبوءة إلى أرضين أخرى بعيدة سالمة ليتخلصوا من الوباء . ونجد في الكتابة الموسومة بـ (CIH 343) رجلاً اسمه (يحمد) يشكر إلهه (تألب ريام)، لأنه منّ عليه بالعافية وشفاه من المرض الذي نزل به في وباء انتشر فيما بين (هوزن) (هوازن) (هوزان) و (سهرتن) (سهرت) . وقد كانت الأوبئة تكتسح المناطق الواقعة عند قواعد الجبال وفي المناطق الحارة الرطبة ، ولا سيما التهائم . وتقع (هوزن) (هوزان) (هوازن) عند مرتفعات (حراز)[5] .

وقد كانت الحروب من المصادر التي غذت العربية الجنوبية بمادة دسمة من الأوبئة . فقد كانت تأتي على عدد كبير من الناس ، فتتركهم جثثاً تتعفن على ظاهر الأرض ، كما كانت تأتي على مواطن السكن ومواضع المياه وتأتي على كل

---

١ شرح القاموس (١/١٣٠) .
٢ تاج العروس (٧/٣١٧) ، (دبل) .
٣ فأعجل القوم عن حاجاتهم شغل من وخز جن بأرض الروم منكور
البرقوقي (ص ٢١٩) .
٤ البرقوقي (ص ٢١٩) ، ديوان حسان (ص ٧٩) « هرشفلد » .
٥ Beiträge, S. 119.

ما يملكه الناس ، وتزيد في مشكلة الفقر مشكلة ، وتبعد النـــاس عن النظافة ، فتهيىء بذلك للأوبئة أمكنة جيدة ، لتلعب بها كيف تشاء . ودليل ذلك ما نجده في كتابات المسند من اشارات الى أمراض وأوبئة تعم المناطق المنكوبة بالحروب ، حيث تكتسح من الأحياء ، ما لم يتمكن السيف من اكتساحه منهم .

وذكر الأخباريون نوعاً من البثور يخرج بالبدن ، دعوه : العـدسة ، عرفوه أنه : بثرة صغيرة شبيهة بالعدسة ، تخرج بالبدن مفرقة ، كالطاعون ، فتقتـــل غالباً ، وقلما يسلم منها . وقد رمي بها أبو لهب فمات . والظاهر أن هذا المرض كان منتشراً بمكة ، فقد روي أن قريشاً كانت تتقي العدسة ، وتخاف عدواها[1].

وقد كان الجاهليـــون يعرفون عدوى بعض الأمراض ، فكانوا يتجنبونها ولا يقتربون من المريض المصاب بها ، ويطلقون عليها العدوى[2] ، فكانوا إذا أصيبوا بأوبئة ، فرّوا الى أماكن بعيدة سليمة تهرباً منها ، وحجروا على المريض ، لئلا يقرب منهم ، فينتقل المرض اليهم . وذلك لما كانت الجاهلية تعتقـــده في بعض الأمراض من أنها تعدي بطبعها ، مثل الجذام[3] .

والحصبة ، من الأمراض المعروفة عند الجاهليين[4] . وكذلك الجُدَري . وقد ذكر بعض الأخباريين أن أول جدري ظهر هو ما أصيب به أبرهة[5] . وهو قول من هذه الأقوال المعروفة عند الأخباريين ، فالجدري من الأمراض القديمة المعروفة عند الجاهليين قبل أبرهة بزمان .

وذكر ان العرب عالجت الحصبة والجدري بمَرار الشجر ، وبالحنظل والحرمل[6].

و (السل) من الأمراض المعروفة بين الجاهليين . ذكر بعض أهل الأخبار انه عرف بـ (داء الياس) ، لأن (الياس بن مضر) أول من مات من السل ، فسمي بذلك ، وسمي بـ (ياس)[7] .

---

١ تاج العروس (١٨٦/٤) ، الاشتقاق (ص ١٤٣) .
٢ شرح القاموس (٢٣٤/١٠) .
٣ ارشاد الساري (٣٧٣/٨) .
٤ شرح القاموس (٢١٤/١) .
٥ شرح القاموس (٨٩/٣) .
٦ الاشتقاق (ص ١٠١) .
٧ الروض الانف (٧/١) ، تاج العروس (٣٧٨/٧) ، (سلل) .

ومن العلل : البرقان ، والصداع ، و (الشقيقة) ، وهو وجع يكون في شق الرأس ، و (السعال) وجع في الصدر ، والزكام ، والزحير ، والحصر وهو انقباض البطن ، والأسر وهو احتباس البول والحصى في مجرى البول ، والحكة ، والحصف ، والحمرة ، والشرى ، والحماق ، والقُوَباء ، والثؤلول ، والعُرّ وهو الجرب الأبيض ، وداء الثعلب ويصيب الشعر ، وداء الفيل ويعتري الرجلين ، والدوّار ، والهيفة ، وتسمى الفضجة ، والنملة ، وهي بثور صغار مع ورم يسير ثم تتقرح فتسعى وتتسع ، وتسمى أيضاً الذباب ، والجنون والخدر ، والفالج ، والحزاز وهي القشرة التي تصيب الرأس ، والحدبة ، والطرش ، والطلق ، والجشاء ، والباسنور ، والناسور ، والبهق ، والكلف ، والمغس ، والمغص ، والاستسقاء ، والإغماء ، والاختلاج ، والبخر ، والفواق ، والجشاءة ، والقلس[1] .

وعرفت القُوَباء بأنها الحزازة ، وذكر أنه كانت بوجه أبيض بن حمال بن مرثد بن ذي لحيان المأربي السَّبَئي حزازة ، توسعت فالتقمت أنفه[2] . والقوباء هو الذي يظهر في الجسد ويخرج عليه ، يتقشر ويتسع ، يزعمون أنه يعالج بالريق . وقالوا :

يا عجباً لهذه الفليقة هل تغلبن القوباء بالريقة[3]

ودم الملوك ، دواء ينفع ويفيد في معالجة من يعضه كلب كَلِب في نظر الجاهليين . فإذا أصيب إنسان بداء الكلب ، فشفاؤه بمعالجته بدم الملوك . وقد عرفه (ابن دريد) بقوله : « والكَلَب داء يصيب الناس والإبل شبيه بالجنون. وكانت العرب في الجاهلية إذا أصاب الرجلَ الكَلَبُ ، قطروا له دم رجل من بني ماء السماء ، وهو عامر بن ثعلبة الأزدي ، فيسقى ، فكان يشفى منه . قال الشاعر : دماؤهُمُ من الكلب الشفاء »[4] .

وكانوا إذا خافوا على المرأة الحامل ، ووجدوا أن ولدها ميّت في بطنها ،

---

١ بلوغ الارب (٣/٣٣٩ وما بعدها) .

٢ الاصابة (١/١٧) .

٣ تاج العروس (١/٤٤١) ، (قوب) .

٤ الاشتقاق (ص ١٤) .

استخرجوه منها . وجوّزوا قيام الرجل بذلك . وعبّروا عن ذلك بـ (السطو)[1] .

ويلعب التطبيب بالسحر والرقي والتعويذ دوراً خطيراً في حياة الجاهليين ، كما يظهر ذلك من الأخبار الواردة في كتب الحديث والأدب ، حتى عدّ السحر نوعاً من الطب[2] . وقد منع الاسلام أكثرها وحرمها ، ومع ذلك بقيت حية مستعملة بين الأعراب والجهلة من أهل القرى الذين لا تساعدهم أحوالهم المعاشية على مراجعة الأطباء . ويقوم هذا التطبيب على التأثير في المريض ، واستعمال بعض الحرز أو عظام بعض الحيوانات والسحر ، بحجة وجود علاقة بين المرض والأرواح ، وأن هذا النوع من التطبيب يطرد الروح الخبيثة التي تدخل الجسم فتصيبه بالمرض من ذلك الجسم . وهذا الرأي في المرض ، رأي شرقي قديم ، سيطر على كل الشعوب القديمة . فقد كان في رأي الأطباء ، أن المرض روح شريرة تستولي على الجسم المريض بدخولها فيه ، وان واجب الطبيب العمل بعلمه وبفنه لاخراج الروح الشريرة من الجسم[3] .

وفي جملة الوسائل التي استعملت لمكافحة المرض والتغلب على الأرواح الشريرة أو النظر ، أي إصابة الانسان بالعين من حاسد تصيب عينه إصابة مؤذية، الاستعانة بالرقي والتعاويذ . وقد كان العبرانيون يطلقون على التعاويذ لفظة (حرط)[4] ، وهي أنواع ، بعضها على هيأة قلب يعلق بسلسلة في العنق ، ويتهدل القلب الى الصدر ، فيكون من جملة وسائل الزينة ، وبعضها يربط بالعضد وفي مواضع أخرى من الجسم .

ولم يقتصر الجاهليون في اتخاذ هذه الوسائل على حماية أنفسهم فقط،بل اتخذوها لحماية ما يملكونه أيضاً من حيوان وزرع وملك ، فعلقوا العظام أو المعادن أو نعل الحيوان مثل نعل الفرس ، ورسموا العين واليد على الجدر وفوق الأبواب، لحمايتها من العيون المؤذية ومن حسد الحاسدين ، ولا يزال الناس يستعملونها لحماية أنفسهم ومقتنياتهم من الاصابة بأذى العين وبحسد الحاسدين .

---

١ تاج العروس (١٠/١٧٧) ، (سطا) .
٢ عمدة القارىء (٢١/٢٦٣ وما بعدها) شرح القاموس (١/٣٥١) .
٣ A. Jeremias, Altorientalische Geisteskultur, S. 55. ff., The Universal Jewish Ency., Vol., 7 pp. 434.
٤ Hastings Dict., Vol. I, p.88.

والجنون وسائر الأمراض العصبية معروفة بين الجاهليين أيضاً ، وهم يعدونها من الأمراض التي تحدث للإنسان بسبب دخول الجنون والشياطين في جسد الانسان فتتملكه ، ولا يمكن شفاء من أصابه مس من الجنون أو لوثة في العقـــل ، إلا بإخراج الأرواح المسيطرة على المريض من جسده. ولذلك كان علاج هذه الأمراض من واجب الكهان والسحرة في الغالب ، بسبب كونها أمراضاً لم تقع من آفة في الجسد ، وإنما وقعت من عارض خارجي ، هو دخـول الأرواح الى الأجساد ، ومهمة اخراج تلك الأرواح من وظائف المذكورين .

وقد عالج العرب الجنون والخبل بشرب دماء من دماء الملوك . ومن أقوالهم : دماء الملوك شفاء من عضة الكلب الكَلِب والجنون والخبل . ومعالجة داء الكلب ، بلعق دم الملوك أو الأشراف من الأدوية المشهورة عند الجاهليين في مداواة هـــذا المرض . ونسب الى (الخليل بن أحمد) « أنه قال : دواء عضة الكَلْب الكَلِب الذراريح والعدس والشراب العتيق . وقد ذكر كيف صَنعته وكم يُشرب منـــه وكيف يتعالج به »[1] . وذكر أهل الأخبار أن (الأسود بن أوس بن الحُمرة) أتى (النجاشي) فعلّمه دواء الكَلَب ، وقد ورث ولده هذا الدواء . ومن ولده (المحل) . وقد داوى (عتيبة بن مِرداس) فأخرج منه مثل جراء الكلب[2] . و (الأسود بن أوس) ، هو من (بني الحمرة) ، وهم من (ثعلبـــة بن يربوع) . وقـــد ذكر (ابن دريد) ، أن (الأسود بن أوس) تعـــلم من (النجاشي) ، دواء الكلب ، وأن نسله يداوون به العرب الى اليوم ، أي الى يومه ، وقد صار منهم اليوم الى (بني المحل) ، فهو فيهم أيضاً[3] .

وقد ظن الجاهليون ان النوم يؤدي الى امتداد السم في جسد اللديغ ، فكانوا يعلقون الجلاجل والحلى على اللديغ ثم تحرك لئلا ينـــام فيدب السم في جسده[4] . ويقولون انه اذا علق عليه أفاق ، فيلقون عليـــه الأسورة والرُعاث ، ويتركونها عليه سبعة أيام ويمنع من النوم . قال النابغة :

---

١ عيون الاخبار (٢/٧٩) .

٢ عيون الاخبار (٢/٨٠) .

٣ الاشتقاق (١٣٨) .

٤ المعاني الكبير (٢/١٠٠٨) .

يسهد في وقت العشاء سليمها لحلى النساء في يديه قعاقع[1]

وفي جملة ما داووا به الخدر الذي يصيب الرجل ، انهم كانوا يذكرون أحب الناس الى الشخص ، فيذهب الخدر عنه[2] .

وزعموا انه اذا ظهرت بشفة الغلام بثور ، يأخذ منخلاً على رأسه ويمر بين بيوت الحي ، وينادي : الحلأ الحلأ ، فيلقى في منخله من ها هنا ثمرة ، ومن ها هنا كسرة ، ومن ثم بضعة لحم ، فإذا امتلأ ، نثره بين الكلاب ، فيذهب عنه البثر ، وذلك البثر يسمى : الحلأ[3] .

وإذا أراد أحدهم دخول قرية ، فخاف وباءها ، أو جنها ، فله سبيل سهل يحميه ويقيه ، هو أن يقف على باب القرية والموضع الذي يريد دخوله ، ثم ينهق نهيق الحمار ، ثم يعلق عليه كعب أرنب ، فيدخل عندئذ الموضع دون خوف . فقد فعل ما يتقي به الأذى والسوء . ويسمون ذلك التعشير . قال عروة بن الورد:

لعمري لئن عشرت من خشية الردى نهاق الحمير إنني لجزوع[4]

واذا أردت المرأة المقلاة أن يعيش ولدها ، ففي إمكانها ذلك اذا تخطت القتيل الشريف سبع مرّات ، وعندئذ يعيش ولدها . وفي ذلك يقول بشر بن أبي خازم :

تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن ألا يُلقى على المرء مئزر[5]

والجاهليون ، مثل غيرهم من شعوب ذلك الزمن ، وفي جملتهم العبرانيون ، كانوا يرون أن الأمراض هي غضب يسلطه الآلهة على الانسان لتنتقم منه ، لسبب ما ، مثل عدم قيام المريض بواجباته تجاهها ، ولهذا كانوا يسرعون بتقديم النذور والقرابين اليها ترضية لها . ويرد المرض اليهم ، بتسلط الهوام وبعض الديدان والأرواح الشريرة على الانسان ، فتصيبه بالمرض . ولهذا كان الطب من واجب

---

١ نهاية الارب (٣/١٢٤) .
٢ نهاية الارب (٣/١٢٥) .
٣ نهاية الارب (٣/١٢٥) .
٤ نهاية الارب (٣/١٢٥) ، بلوغ الارب (٢/٣١٥) .
٥ نهاية الارب (٣/١٢٤) .

الكهان ورجال الدين بالدرجة الأولى ، هم يداوون المريض ويعطونـــه الوصفات التي يعتقدون أن فيها الشفاء للمريض ، كما كانوا يعتقدون بالنظر ، أي بإصابة الإنسان ، فيلحقه المرض[1] .

وقد مارس التطبيب بين العرب المبشرون ، وذلك بعد الميلاد بالطبع، وأكثرهم من الأعاجم ، وكانوا قد درسوا الطب وتعلموه على الطريقة اليونانية في الغالب ، فلما أرسلوا الى بلاد العرب أو جاءوا هم أنفسهم للتبشير ، مارسوا تطبيب المرضى ، وقد شفوا جماعة من سادات القبائل ، وأثر شفاؤهم هذا عليهم فاعتنقوا النصرانية. واشتهر (العباديون) بالتطبيب كذلك[2] ، ولعل ذلك بعامل تنصرهم ، فقد كان أكثر رجال الدين النصارى يدرسون مختلف العلوم ، وفي جملـــة ذلك الطب ، ومنهم من ترجم كتب العلوم اليونانية إلى السريانية ، فدرس العباديون هذه العلوم . وكان طبهم مبنياً على العلوم والتجارب السابقة ، ومتقدماً جداً بالنسبة إلى طب أهل البادية ، لذلك نجح المبشرون والنصارى في معالجة أمراض الأعراب ، ولا سيما سادتهم ، الذين صاروا يقصدونهم لنيل الشفاء على أيديهم . ومن ثم اشتهر النصارى بالطب ، ولما جاء الاسلام ، كان أكثر الأطباء من النصارى ، وعلى أيديهم تخرج الأطباء المسلمون .

وقد استخـدم الجاهليون النساء لتمريض الجرحى في غزوهم وغاراتهم ، وقد فعل المسلمون فعلهم . قالت (بنت معوذ بن عفراء) : « كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نسقي القوم ونخدمهم ونردّ القتلى والجرحى الى المدينة »[3]. وقد كان في مسجد الرسول موضع يعالج فيه المرضى والجرحى ، وكان الرسول والصحابة يتفقدون المرضى النازلين به[4] .

وليس في الموارد المتوفرة لدينا ما يدل على إقدام الأطباء الجاهليين على التشريح ، للاستفادة منه في زيادة علمهم بالطب . وقـد كانت شعوب الشرق الأدنى تنفر من تشريح الإنسان ، وتعدّه مثلة واهانة للمتوفى ، وعملاً مخالفاً لأحكام الدين ،

---

١ Hastings. Dict. of the Bible, p. 597. ff.

٢ الفاخر (ص ٥٨) .

٣ ارشاد الساري (٣٦١/٨) .

٤ كتاب الجهاد .

ولذلك نهت عنه[1] . والجاهليون لا يختلفون من هذه الناحية عن غيرهم إن لم يزيدوا عليهم في هذه الأمور التي يعدّونها حرمة وكرامة للإنسان . وتشريح الميت وتقطيع بعض أجزاء جسمه ، اعتداء على حرمة الميت ، واهانة له ولأهله الأحياء، ولهذا لا نطمع في الحصول على موارد قد تفيد بوجود خبرة علمية عند الأطباء الجاهليين ناتجة من تجاربهم وبحوثهم التي حصلوا عليها من التشريح .

ولم يرد الينا أي شيء مفيـــد في الكتابات الجاهلية عن الطب والأطباء ، وإن أملنا الوحيد في الحصول عـــلى معارف عن الطب ، متوقف على المستقبل يوم يقوم علماء الآثار بالتنقيب تنقيباً علمياً عميقاً في باطن الأطلال الأثريـــة ، للكشف عن تأريخ الماضين . وعندئذ يكون مـــن الممكن العثور على نصوص قد تكشف النقـــاب عن الطب الجاهلي وعن العلوم الأخرى وعن مختلف نواحي الثقافة عند الجاهليين .

ويقال للمرض (مرضم) أي مرض في الكتابات الجاهليـة[2] . وتؤدي لفظة (حلصم) (حلظم) (حلظ) معنى مرض ووباء[3] . ويتبين من بعض الكتابات ان أوبئة شديدة وأمراضاً مهلكة كانت تقع في بعض الأحيان ،، فتفتك بالناس . وقد كانوا يتجنبونها بالتضرع الى الآلهة للرحمة بهم وتخليصهم من الضر ، كما كانوا يتركون المدن والأماكن المزدحمة إلى محلات بعيدة مكشوفة غير موبوءة حتى ينكشف الوباء . وفي جملة هذه الأوبئة الطاعون .

ويعبر عن المرض في المسند بلفظة أخرى هي (شين) ، وهي في معنى (شعين) Sha'en في الأثيوبية و (سيعون) Se'on في العبرانية و (شينو) Shenu في البابلية[4] ، وذلك كما في هذا النص السبئي : « تشين شين ارجلهو »[5] ، أي

---

١ Hastings, Dict., p. 598.

٢ Rhodokanakis, Katab. Texte, II, S. 33, Jamme, Sabaen Inscriptions, p. 441.

٣ خليل يحيى نامي ، نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرقها ، (ص ٣٦) ، السطر السادس من النص رقم ٢٢ .
Rhodokanakis, Kata. Texte, II, S. 33, CIH, 407, Mardtmann und mittwoch, alt. Inscri., S. 47.

٤ Repe. Epi. Semi., Tome VII, Prim. Livr., p. 30. f. Num. 3991.

٥ المصدر نفسه ، الفقرة : ٧ .

المرض الذي مرض أرجله ، و (تشين) بمعنى المرض . وكما في هذه الجملة : « بن هوت تشين »[1] ، أي « في هـذا المرض » و « من هـذا المرض » . وتعني (شين) أذى ومكروه ومعنى سوء كذلك ، وهي في عربيتنـا العراقية ضد (الزين) أي الحسن ، فنقول : زين وشين ، أي حسن وقبيح ، أو جيـد ومكروه .

ووردت لفظة (عوس) بمعنى وباء أو طاعون . وأما (خوم) ، فتؤدي معنى (وخم) و (خامة) ، ويراد بها انتشار الأمراض والأوبئة ، أي وباء . جـاء في بعض النصوص (عـوس ذكون بأرضن) ، أي (الأوبئة التي انتشرت بالأرضين)[2] . وورد (خوم وعوس وموت كون بأرضن)[3] ، أي (الوخامة) (الوخم) والأوبئة والوَفَيات التي تفشت في الأرض . ورد « كن ضلم وعوسم باشعبن وهكرن » ، أي « وكانت أو وتفشت أمراض وأوبئة بالقبائل والمدن »[4]. وورد « خوم ذكين بكل ارضن » ، أي « الوخامة (أوبئة) تفشت في كـل أرض »[5] . ويفهم من هذه النصوص أن العربية الجنوبية ، كانت معرضة لأوبئة عامة ، تأتي فتكتسح البلاد اكتساحاً ، تميت الأعراب ، أبناء القبائل ، كما تميت أهل المدن، فتشمل مناطق واسعة من البلاد . وقد كانت تظهر خاصة بعد الحروب التي كانت تفني القرى والمدن ، وتدمر مواضع المياه ، وتترك الجثث ملقاة على سطح الأرض حتى تتن وتجيف ، فتتفشى منهـا الأمراض ، وتظهر الأوبئة ، وتتسرب الى مواضع نائية لتضيف الى خسائر الحرب خسائر أخرى فادحـة في الأرواح .

وقـد وردت في نصوص ثموديـة اشارات إلى أمراض كانت معروفة في ذلك الوقت[6] .

---

١ المصدر نفسه ، الفقرة : ١٢ .

٢ خليل يحيى نامي ، نقوش عربية جنوبية ، مجلة كلية الآداب، القاهرة ١٩٣٧، (ص ١ ، ١٣ قسم ٢ ، ١٦) ، (١٩٥٤) (ص ٢١ وما بعدها) .
CIH 81, 4, Jamme 645, Ma. Mb. 275.

٣ Ja 645, 13-14.

٤ CIH 541, 72-73.

٥ Rep. Epig., 4138, 4-5.

٦ Grimme, S. 40.

وفي العربية ألفاظ عديدة تعبر عن الأوجاع والآلام والأمراض والأسقام التي تصيب الانسان ، وتستعمل للتعبير عن منزلة ودرجة من درجات الأمراض التي تصيبه ، من نفسية وغير نفسية . وتحديد مدلولاتها وحدودها ، يفيدنا كثيراً في تكوين رأي في مدى تأثر الجاهليين بالنواحي الطبية والنفسية في ذلك العهد .

وقد كان الختان شائعاً بين العرب ، ويستعمل (الموسى) للختان ، ولوقف الدم تستعمل أدوية خاصة من مراهم ومواد ، كما يستعمل الضماد أيضاً . ولم يكن الختان من أعمال الطبيب ، انما يقوم به الختّان ، والحلاقون والحجّامون .

وقد عرف الجاهليون طريقة تغطية بعض العيوب أو الاصابات التي تلحق بأعضاء الجسم ، بالاستعانة بالوسائل الصناعية ، فشدوا الأسنان وقووها بالذهب ، وذلك بصنع أسلاك منه تربط الأسنان ، أو بوضع لوح منه في محل الأسنان الساقطة [1] . واتخذوا أنوفاً من ذهب ، لتغطية الأنف المقطوع ، كالذي روي عن عرفجة بن أسعد من انه اتخذ أنفاً من ذهب ، وكان قد أصيب أنفه (يوم الطلاب) في الجاهلية [2] .

وتخصص نفر من الجاهليين بمعالجة الحيوان ، وهم البياطرة ، يعالجون أمراضها فيصفون الأدوية ، يقال للواحد منهم البطير والبيطر والبيطار ، وقد أشير اليهم في أشعار الجاهليين [3] . ويعالجون الجروح التي تصيبها . وفي جملة ما كانوا يعالجون به الكيّ . والمعالجة باستعمال القطران ، وذلك بطلي الحيوان المريض به [4] . ومن هذه الأمراض الجرب . ويقال للحيوان المطلي بالقطران (المقطور) أما اذا كان أنثى ، مثل ناقة ، فيقال : « مقطورة » [5] . ويقال إن الجرب ، هو العُرّ . والعُرّ بثر في الإبل ، ويعالج بالقطران . قال علقمة الفحل :

قد أدبر العُر عنها وهي شاملها من ناصع القطران الصرف تدسيم [6]

---

١ المعارف (ص ٨٢) .
٢ العقد الفريد (٣٥٤/٦) ، الطبقات ، لابن سعد (٤٥/٧) .
٣ تاج العروس (٥١/٣) ، (بطر) .
٤ تاج العروس (٥٠٠/٣) ، (قطر) .
٥ شرح ديوان لبيد (ص ١٢٢) .
٦ الفاخر (ص ٦٦) .

وكان بعضهم إذا وقع العُرّ في إبلهم ، « اعترضوا بعيراً صحيحاً من تلك الإبل ، فكووا مشفره وعضده وفخذه ، يرون أنهم اذا فعلوا ذلك ذهب العُرّ عن إبلهم » . ويقال إنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويقولون : تؤمن معه العدوى . قال النابغة :

وكلفني ذنب امرىء وتركته كذي العُرّ يكوى غيره وهو راتع[1]

والهناء : ضرب من القطران تطلى به الإبل ، لمعالجة الجرب وغير ذلك . ويقال للجرب عند أول ظهوره : النقب[2] . ويقال للبعير المهنوء بالقطران (المشوف)[3] .

وعالجوا أمراض الجلد التي تصاب بها الإبل بطليها بالنفط . ويقال لذلك : (الكحيل)[4] .

ومن الأمراض التي تصيب (الإبل) مرض (الدبرة) ، يظهر في سنام الإبل فلا يزال يأكل سنامه حتى يُحَبّ ، أي يقطع ، وإلا نزل على السناسن فيصيبها ويموت الحيوان . واذا كان السنام مكشوفاً ، فإن الطيور تنقره فيتأذى الحيوان ويتألم وقد يموت ، ولعل ذلك هو الذي حمل الجاهليين على التشاؤم من (الأخيل) وبعض الطيور الأخرى التي كانت تحط على ظهور الإبل فتنقر سنامها . ويقال للجمل الذي يقطع سنامه (الأجبّ)[5] .

ومن الأمراض التي كانت تصيب الإبل (السوّاف) ، وقد عرف بأنه داء يصيب الإبل فتهلك[6] . و (الجارود) ، وهو مرض معد ، إذا فشا أهلك الإبل . وقد ظهر في (بكر بن وائل) ، فأهلك إبلها . وهم يعلمون انه من

---

١ نهاية الارب (٣/١٢٣) ، اللسان (٦/٢٣٠ وما بعدها) ، صبح الاعشى (١/٣٩٨ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٢/٣٠٦) .
٢ البيان (١/١٠٧) .
٣ شرح ديوان لبيد (ص ١١٥) .
٤ تاج العروس (١/٣٣٢) ، (صبب) .
٥ شرح ديوان لبيد (ص ١) .
٦ الاشتقاق (٢/٣١١) .

الأمراض التي تعدي ، وتنتقل بالعدوى[1] . وذكـر أهل الأخبار ان (الجارود العبدي) ، وهو رجل من الصحابة من عبد القيس ، إنما سمي (جارودا) لأنه فرّ بإبله إلى أخواله من (بني شيبان) وبإبلـه داء ، ففشا ذلك الداء في إبـل أخواله فأهلكها ، وفيه يقول الشاعر :

لقد جرّد الجارودُ بكر بن وائل

ولذلك سمي المشؤوم جارودا[2] .

ومن أمراض الدواب مرض يقال له (العقل) ، يصيب رجل الدابـة ، إذا مشت ظلعت ، وأكثر ما يعتري في الشاء[3] . ومرض (الحلمـة) ، دودة تقع في جلد الشاة الأعـلى وجلدها الأسفل ، وقيل : دودة تقع في الجلد فتأكله ، فإذا دبغ وهى موضع الأكل وبقي رقيقاً . وقيل : القراد أول ما يكون صغيراً قمقامة ، ثم يصير حمنانة ، ثم يصير قراداً ، ثم حلمة[4] .

وكانوا ينقون رحم الفرس أو الناقة من النطف ، ويخرجون الولـد من بطن الفرس أو الناقة ويعبر عن ذلك بلفظة (مسى)[5] .

ويذهب بعض الباحثين الى أن لفظة (بيطار) ، هي من أصل يوناني ، هو Ippiyatros[6] .

ومن الذين عرفوا بـين الجاهليين بمعرفتهم بالبيطرة (العاص بن وائل) ، وكان يعالج الخيل والإبل[7] . وقد برع البياطرة بمعرفتهم خاصة بالخيل والإبل ، لأنها أثمن أموال العرب . وعناية العرب بالخيل ، هي التي حملت الإسلاميين على وضع مؤلفات خاصة فيهـا . ومن جملة من ألف في الخيـل (أبو عبيدة)

---

١ الاشتقاق (ص ١٩٨) .
٢ اللسان (١١٦/٣) ، (صادر) ، (جرد) .
٣ اللسان (٤٦٣/١١) ، تاج العروس (٢٨/٨) ، (عقل) .
٤ تاج العروس (٢٥٦/٨) ، (حلم) .
٥ تاج العروس (٣٤٢/١٠) ، (مسى) .
٦ غرائب اللغة (ص ٢٥٦) .
٧ المعارف (٥٧٦) ، (اخراج ثروت عكاشة) .

و (أبو زيد الأنصاري) و (الأصمعي) وآخرون[1] . وللأصمعي كتاب في الإبل[2] ، ولأبي عبيدة كتاب في الابل كذلك[3] . ولأبي زيد الأنصاري كتاب في هـذا الموضوع أيضاً . ولأحمد بن حاتم مثله ، وقد ألف غيرهم في الابل وفي حيوانات أخرى[4] . وقد طبعت بعض هذه الكتب .

---

١ الفهرست (ص ٨٥ وما بعدها) .
٢ الفهرست (ص ٨٨) .
٣ الفهرست (ص ٨٦) .
٤ الفهرست (ص ٨٧ وما بعدها) .

obeikandl.com